إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثانية – العدد الثامن – شتاء ١٣٩١ش/ كانون الأول ٢٠١٢م
صص ٧٧ ـ ٩٩

الأسلوب والأسلوبية وعناصر الأسلوب الأدبي من منظور القرآن الكريم

على حاجى خانى*

الملخص

يشـمل الأسـلوب فى نظر القدماء والمعاصرين الناحيتين المعنويـة واللفظية، كما أن هناك أنواعا مختلفة من الأسـلوب عالجها القدماء والمحدثون سواء فى ذلک الغربيون والمسلمون. بالإضافة إلى ذلک فإن مفاهيم الأسلوب ومعانيه مختلفة فى المنظور الغربى والإسـلامى. فهناک العديد من التعاريف قدورد فى الكتـب المرتبطة بالموضوع، ولا يخفي أن للإسلوب عناصر مختلفة من منظور المدارس الغربية ومن المنظور الإسلامى. ولكن العناصر الإسـلامية للإسلوب لم يتم التعريف بها من قبل بشكل واضح منهجى من خلال الآيات القرآنية المباركة.

يتناول هذا المقال الأسـلوب الأدبى وعناصره وآراء القدماء فى ذلک بالإضافة إلى الأسلوب ومعانيه من منظور المدارس الغربية المعاصرة وذكر الفوارق الرئيسة بين المواقف العلمانية والإسلامية فيما يتعلق بعناصر الأسلوب الأدبى، ومن جملتها الفطرة والنية والإيمـان والتوحيد والعقل والعاطفة والشـعور والموهبـة والميول والرغبات وكذلک دور المسـؤولية فى هذا الأدب مسـتعينا بالمنهجـين التوصيفى والتحليلى مع الاستشهاد بالآيات القرآنية كما تطلب الأمر ذلک.

الكلمات الدليلية: الأسـلوب الأدبى، الأسـلوبية، العناصر، الإسـلامى، القرآن الكريم.

---

*. جامعة تربيت مدرس، طهران، إيران. (أستاذ مساعد). hajikhan1347@yahoo.com

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. حسن شوندى
تاريخ الوصول: ١٣٩١/٦/٢٠هـ. ش تاريخ القبول: ١٣٩١/١٠/٢٢هـ. ش

المقدمة

استخدمت كلمة الأسلوب فى الآداب العربية القديمة للدلالة على تناسق الشكل الأدبى، واتّساقه، فى كلام البلاغيين حول إعجاز القرآن الكريم، وأقدم من استخدم هذه اللفظة كان الباقلانى فى كتابه المسمي بإعجاز القرآن. فقد أوضح أنّ لكل شاعر أوكاتب طريقة يعرف بهاوتنسب إليه. ومثلما يتعرّف المرء على خط صاحبه إذا وضع بين خطوط عدة، فإن القارئ البصير بالشعر أو النثر يتعرّف على أسلوب صاحبه. (خليل، ١٩٩٧م: ٢٦)

وقد كثرت آراء القدماء من العلماء المسلمين حول الأسلوب من عبدالقاهر الجرجانى وابن خلدون وغيرهما من العلماء، كما أن هناك آراء متعددة حول الأسلوب عند العلماء الغربيين القدامى خاصة عند أرسطو، كما كثرت الآراء عند المعاصرين فى موضوع الأسلوب. وقد تنوعت الأساليب، وذكرها الأدباء من جملتها الأسلوب البسيط والمعتدل والجزل، كما أن هناك الأسلوب العام والأسلوب الفنى وغيرها من الأساليب التى تناولتها الكتب المتعلقة بالأسلوب.

ولايخفى أنّ هناك علاقة بين الأسلوب والأسلوبية إذ يرى البعض أن الأسلوبية هى علم الأسلوب، وهى دراسة النص ووصف طريقة الصياغة والتعبير وهى بذلك أحدث ما تمخضت عنه علوم اللغة فى العصر الحديث. (أحمد سليمان، ١٩٩١م: ٩) إن للأسلوب عناصر متعددة تختلف باختلاف رؤى الباحثين. فهى ليست واحدة عند العلمانيين والمسلمين.

يهدف هذا البحث إلى إظهار عناصر الأسلوب الأدبى الإسلامى من خلال الآيات القرآنية الكريمة التى تميّز الأسلوب الإسلامى عن غيره وهى كثيرة. حاول الباحث تسليط الضوء على أهمها بذكرها وتدعيم الفكرة بالآيات التى يفهم منها هذا الأمر. وقد سبق هذا البحث بعض الدراسات والبحوث التى تناولت جوانب من هذا الموضوع ومن جملتها كتاب ''علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته'' لصلاح فضل، وكتاب ''الأدب الإسلامى، إنسانيته وعالميته'' لعدنان النحوى، وكتاب ''الأسلوبية ونظرية النص'' لإبراهيم خليل، ثم كتاب ''الأسلوب، دراسة بلاغية لأصول الأساليب الأدبية'' لأحمد

الشـائب، وأخيرا مقالة تحت عنوان ''الأسلوبية العربية والبلاغة العربية'' لبندر مبارک السنانى.

غير أن الباحث على الرغم من اسـتفادته من هذه الدراسات فأنه حاول الربط بين الموضوع والقرآن الكريم من خلال الاستشـهاد بآيات وجدها مناسبة للفكرة التى أراد إثباتها كعنصر من عناصر الأسلوب الأدبى والمجال هذا مجال خصب يتطلب الكثير من البحوث والدراسات لإكمال المسيرة ووضع القواعد الثابتة للموضوع.

الأسلوب لغة

الأسـلوب فى اللغة «الطريق ويقال سلكتُ أسـلوب فلان فى كذا: طريقتَهُ ومذهبه، والأسلوب طريقة الكاتب فى كتابته، والأسلوب الفنُّ. يقال: أخذنا فى أساليب من القول: فنونٍ متنوعةٍ.» (إبراهيم، عبدالحليم، عطية، خلف الله، ١٤٠٨ق: ١٤٤)

يقول ابن منظور فى لسان العرب: «يقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهوأسـلوب، قال: والأسلوب هو الطريق والوجه والمذهب. يُقال: أنتم فى أسلوب سوءٍ ويجمع الأسـاليب. والأسلوب الطريق نأخذ فيه والأسلوب بالضّم الفن. يقال أخذ فلان فى أساليب من القول أى أفانين منه، ويقال: إنّ أنْفَه لَفى أسلوب إذا كان متكبرا.» (ابن منظور، ج٦، ١٩٨٨م: مادة سلب)

يقـول صاحب القاموس المحيط: «الأسـلوب: الطريق وعنق الأسـد والشـموخ فى الأنف.» (الفيروزآبادى، ١٤١٩ق: مادة سلب)

وقد جاء فى تاج العروس: «الأسـلوب بالضّم: الفن يقال: أخذ فلان فى أساليب من القول، أى أفانين منه. الأسلوب عُنُق الأسد، لأنّها لاتُثنى.

ومن المجاز: الأسـلوب الشـموخ فى الأنف، وأنّ أنفه لفى أسـلوب إذا كان متكبرا لايلتفت يمنة ولايسرة.» (الزبيدى، الحسينى، الغرباوى، ج٣: ١٩٦٧ق: مادة سلب)

الأسلوب اصطلاحا

قد جعل عبد القاهر الجرجانى من كلام الباقلانى السـابق عن الطريقة والأسـلوب كلاما علي النظم الذى هو أشمل وأعم دلالة من الأسلوب. ولكنه استعمل كلمة الأسلوب

فى غيرموضع، ويعرّفه بقوله: «الأسلوب : الضرب من النظم والطريقة فيه.» (الجرجانى، ١٩٨١م: ٣٦١)

والجرجانى فى هذا التعريف لايبتعد عن مفهومه للنظم، بل إنّه يطابق بينهما بوصفهما ممثلين لإمكانية خلق التنوعات اللغوية القائمة على الاختيار الواعى، من حيث إمكانية هــذه التنوعات فى أن تصنع نســقا وترتيبا من خلال الاحتمــالات النحوية القائمة فى بنيــة الجملة، لأنّ توالى الألفاظ فى النطق لايصنع نســقا أبــدا وإنما يصنعه قصد المبدع إلى التأليفــات بأســلوبها الذى يميزها، والــذى يربط غالبا بالغــرض العام من الكلام، فالأسلوب يقترن بالطريقة التى تألّف عليها الكلام.

وفى الحقيقــة تكلم عبد القاهرعن شــىء آخر هو «النســق» و»الصّورة»، وتحدّث بالتفصيل عن المجاز والاستعارة وتمثيل الحسّيات، وأسلوب التقديم والتأخير، ومباحث الفصل والوصل، وتأثيركلّ من هذه الأساليب فى الدلالة والمعنى.(خليل، ٢٠٠٢م: ١٣٨)

أمّــا إبن خلــدون فيقول إن «الأســلوب هو عبارة عــن المنوال الذى تنســج فيه التراكيــب أو القالــب الذى تفرغ فيه، وهو يرجع إلى الصــورة التى ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشــخاصها وهي الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربىّ.» ثم يقــول: «إنَّ هذا المنوال أو القالب، بعد أن ينتزع صورته الصحيحة نحوا وإعرابا وبيانا، هو يتسّع بالحصول الوافى بمقصود الكلام و... .فإنّ لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه علي أنحاء مختلفة.» (ابن خلدون، ١٣٢٧ق: ٦٦٦)

يشير الزرقانى فى كتابه «مناهل العرفان» إلى مفهوم الأسلوب فى اصطلاح البلاغيين قائلاً:

«هــو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعانى قصد الإيضاح والتأثير، أو هو العبارات اللفظية المنسقة لأداء المعانى، فأسلوب القرآن هو طريقته التى انفرد بها فى تأليف كلامه واختيار ألفاظه.» (الزرقانى، ج٢: ١٤٠٨ق: ١٩٩)

يقول أحمد حســن الزيات «إنّ الأســلوب هو طريقة خلق الفكــرة... وإبرازها فى الصورة اللفظية المناسبة.» (الزيات، لاتا: ٦٢)

لكن أحمد الشــايب فيحدّدهُ بأنّــه «طريقة التفكير والتصوير والتعبير.» (الشــايب،

١٩٤٥م: ٤٦)

وهكذا نري أنّ الأسـلوب فى نظـر القدماء والمعاصرين يشـمل الناحيتين المعنوية واللفظية جميعا.

أنواع الأساليب

هناک أنواع مختلفة من الأساليب يعالجها القدماء والمحدثين. أمّا الغربيون منذ اليونان إلى اليوم فيميزون بين ثلاثة أنواع من الأساليب وهي:

١. الأسلوب البسيط أو السهل.
٢. الأسلوب المعتدل أو الوسيط.
٣. الأسلوب الجزل أو السامي.

وهو التقسـيم الذى يربط هذه الأساليب بالموضوعات التى يعالجها الخطاب اللغوى وخاصة الخطاب الأدبى. ولذلک هم يقولون فى الأسـلوب الأول البسيط أو السهل، إنّه يصلح للرسـائل والحوار، وفى الثانى المعتدل أو الوسيط، إنّه يصلح للتاريخ والملهاة، فى حين أن الأسـلوب الثالث، الجزل أو السـامى يصلُح للمأساة إلا أنّ هذا الرأي خلافى، بدليل أن الأنواع الأدبية الحديثة كالرواية والمسرحية الإجتماعية تستهلک عدة أساليب تظل فيها ناجحة. (السنان، ٢٠٠٩م: WWW.merbad.net/vb/showthread.php)

وهناک تقسيم آخر خاص، بالنظر إلى الظواهر الأسلوبية والتحليل الدقيق لجزئيات العمل الأدبى واكتشـاف العلاقات بين هذه الجزئيات، ويمكن علي ضوء ذلک تقسـيم الأسلوب إلى ثلاثة أنواع:

١. الأسلوب العام.
٢. أسلوب العناصر الفنية.
٣. أسلوب النثر والشعر.

أمّا الأسـلوب العـام، فهو الذى يجمع بـين العوامل والعناصر الفنيـة ليجرى بينها التفاعل.

وأسلوب العناصر الفنية، هو الأسلوب الخاص ببناء كل عنصر وتحديد دوره.

وأسلوب النثر والشعر، يميّز بين أساليب النثر وأساليب الشعر وأساليب سائر الأجناس الأدبية، ذلک لأن للشعر أساليب خاصة متميزة من أساليب النثر. وأساليب الشعر يفرض تميّزها الوزن والقافية. فالوزن والقافية يتطلبان أسلوبا خاصا، فتنساق الألفاظ لتأخذ مكانها العادل فی التعبير الفنی، ولتساهم فی إقامة الوزن الشعری وبناء القافية، وحركة الألفاظ هذه فی رعاية الموهبة والعقيدة، تبنی تعبيرها الفنّی المتميّز، وتتفاعل مع الموضوع وسائر العناصر لتبنی الأسلوب الشعری أو النثری. (النحوی، ١٩٩٩م: ٢٨٦-٢٨٧)

الأسلوب ومعانيه من منظور المدارس الغربية المعاصرة

يشير الدكتور صلاح فضل إلى الجذور اللغوية لكلمة "أسلوب" فی اللغات الأروبية قائلا: «لقد اشتقت كلمة "أسلوب" فی اللغات الأروبية المعروفة من الأصل اللاتينی "stilus" وهو يعنی "ريشة" ثم انتقل عن طريق المجاز إلى مفاهيم تتعلق كلها بطريقة الكتابة؛ فارتبط أولا بطريقة الكتابة اليدوية، دالا علي المخطوطات، ثم أخذ يُطلق علي التعبيرات اللغوية الأدبية؛ فاستُخدم فی العصر الرومانی –فی أيام خطيبهم الشهير "شيشيرون"–كاستعارة تشير إلى صفات اللغة المستعملة؛ لامن قِبَل الشعراء، بل من قبل الخطباء والبلغاء، وقد ظلت قذه الطبيعة عالقة إلى حدما بكلمة "style" حتى الآن فی هذه اللغات إذ تنصرف أولا إلى الخواص البلاغية المتعلقة بالكلام المنطوق.

ولما كانت الأعمال الأدبية تختلف أساسا عن الخطابة واللغة المنطوقة، فإن تعلق مفهوم الأسلوب بها يشير إلى بعض الخواص الكلامية فيها.ويري بعض الباحثين أن اشتقاق الكلمة من أصل لاتينی –لا إغريقی–كما هي الحال فی معظم المصطلحات البلاغية الأخري له أهمية خاصة، فأرسطومثلاً يستخدم «lexis» أی لغة أوكلمة مقابل "Taxis" أي "نظام" التی تترجم عادة بقول أو أسلوب، لكن كلمة "Stylos" تعنی فی اللغة الإغريقية "عمودا"، ومن هنا جاءت تسمية زاهد متصوف مثل "سيميون" "الأستيليتا" إذ كان يعيش علي عمود قديم تقشفا وزهدا.أمّا شكل كلمة "style" فی اللغة الإنجليزية، بدلا مما كان ينبغی أن تُكتَب به "stil" فمبنی علي أساس توهم الأصل الإغريقی،

لامطابقة الأصل اللاتينى الحقيقى كما يقول قاموس "أوكسفورد". (فضل، ١٩٩٨م: ٩٣)

وهناك تعاريف مختلفة للأسلوب عند أصحاب المدارس المختلفة الغربية المعاصرة التى تدرس الأسلوب والأسلوبية معاً،حسب تصوراتها واعتقاداتها، وفيما يلى بعض هذه التعاريف:

يقول "شوبنهاور": «الأسلوب هو مظهر الفكر.» (عياشى، لاتا: ٣٤)

يقول"فلوبير": «الأسلوب وحده طريقة مطلقة لرؤية الأشياء ويُتصوّر الأسلوب بالأثر الذى يتركه.» (المصدر نفسه: ٣٥)

يقول "ستاروبنسكى": «الأسلوب إعتدال وتوازن بين ذاتية التجربة ومقتضيات التواصل، أو تجربة الاعتدال بين الأنا والجماعة، فيكون حلا وسطا بين الحدث الفردى والشعور الجماعى.» (المصدر نفسه: ١٤٧)

يقول "ريفاتير": «الأسلوب هو فُرادة النصّ.» (المصدر نفسه: ١٥٣)

ويقول "بيرجيرو": «إنّ كلمة أسلوب إذا رُدّت إلى تعريفها الأصلى، فانّها طريقة للتعبير عن الفكر.» (المصدر نفسه: ٣٧)

ويقول "بوفون": «الأسلوب هو الرجل.» (المصدر نفسه: ٣٤)

وأمّا الدكتور منذر عياشى مضافا إلى هذه التعاريف للأسلوب، فيشير إلى تعاريف أخري مطروحة من أصحاب هذه المدارس منها: «الأسلوب حدث لغوى من غير اتفاق.» (المصدر نفسه: ١٢٢)

«الأسلوب نظام لنصّ مخصوص لايُقبل القياس عليه.» (المصدر نفسه: ١٠٤)

«الأسلوب جزء من القراءة.» (المصدر نفسه: ٢٠١)

«الأسلوب جزء من المكتوب.» (المصدر نفسه: ٣٧)

«الأسلوب خطاب لايعترف بنظامه الخاص.» (المصدر نفسه: ١١٦)

«الأسلوب لغة تخلق نظامها بعد أن لم يكن وتتحلّي به.» (المصدر نفسه: ١٠٤)

«الأسلوب نظام غير معيارى يؤسس اللغة علي خلاف القاعدة ولايعطى للنسق الذى يستخدمه ثَباتا قاعديّا ولاقوة معيارية.» (المصدر نفسه: ٩٨)

يشير الدكتور فتح الله أحمد سليمان إلى تعريف آخر للأسلوب، لايخرج عن

التصورات التى عُرِضت قبله وهو: «الأسلوب يعبّر تعبيرا كاملا عن شخصية صاحبه بل ويعكس أفكاره ويظهر صفاته الإنسانية، وهذا التعريف من زاوية ما يسميه المنشيء.» (أحمدسليمان، ١٩٩١م: ٩)

ثمّ يقدم تعريفا آخر من زاوية النص الذى يعتمد على ثنائية اللغة، الثنائية التى تقسم اللغة إلى مستويين، مستوي اللغة وبُنيتها الأساسية، ومستوي الكلام. والمستوي الثانى –مستوي الكلام– ينقسم إلى قسمين آخرين: الاستخدام العادى للغة والاستخدام الأدبى.» (المصدر نفسه: ١٠)

كما مرّ فى التعاريف السابقة فالأسلوب هو النظام، خطاب الرجل والشكل واللغة والتعبير عن شخصية صاحبه وجزء من القراءة أو ليس جزءا من القراءة، بل من الكتابة وفرادة النص واختيار وحدث لغوىّ وحدث فكرى ومن الطبيعى أن تتولّد من كل تعريف اتجاهات مختلفة.

العلاقة بين الأسلوب والأسلوبية

ممّا لاشك فيه أنّ الأسلوب وما يعادل هذه الكلمة فى اللغات الأخري موغلة فى القدم فى مفهوم الإنسان ولغته ونشاطه فى مختلف ميادين الحياة، فهنالک "أسلوب" لكل نشاط، فمثلا أسلوب فى الكتابة والخطابة والقراءة وأسلوب فى التفكير وأسلوب فى الإدارة والسياسة ونحوها.

أمّا "الأسلوبية" فهى مصطلح حديث يَدرس "الأسلوب" فى اللغة حين يُمارسه الإنسان كلاما ينطق به أو يكتبه، فإذن تمتدّ الأسلوبية امتداد اللغة والأسلوب.

يقول الدكتور منذر عياشى: «... ومادامت اللغة ليست حكرا علي ميدان إيصالى دون ميدان، فإن موضوع الأسلوبية ليس حكرا –هو أيضا– علي ميدان تعبيرى دون آخر.» (عياشى، لاتا: ٢٩)

ويقول الدكتور عدنان على رضا النحوى : «والأسلوبية هي "علم" كما يراها بعض الدارسين الغربيين، أو هي "نقد" أو "فلسفة" أو "نهج"، كما يراها آخرون تقترن دائما بالأسلوب. فحيثما وجد أحدهما وُجد الآخر، فإذن "الأسلوب والأسلوبية" (style and stylistic) متلازمان.» (النحوى، ١٩٩٩م: ١٥٤)

يبدو مما سبق أنّ ''الأسلوب'' مفردة مستعملة فى ميادين مختلفة عند القدماء ومنها الأدب، أما ''الأسلوبية'' فمصطلح حديث يدرس الأسلوب فى اللغة حين يمارسه الإنسان كلاما ينطق به أو يكتبه، فإذن تمتد الأسلوبية امتداد اللغة والأسلوب كما أشير.

ويبدو أنها ولو لم تكن مستعملة عند القدماء، ولكن كلّ كاتب أو شاعر أو خطيب قديم يعرف بأسلوبه الخاص فى نثره أو شعره أو خطابته، وإذن ليس مفهوم الأسلوبية إلا العلم بالأسلوب بغضّ النظر عن العوامل التى طرحت فيها فى اتجاهاتها اليوم.

أمّا الدكتورأحمد سليمان فيعتبر الأسلوبية أحد مجالات نقد الأدب قائلا: «الأسلوبية علم الأسلوب وهى دراسة النص ووصف طريقة الصياغة والتعبير وهي أحد مجالات نقد الأدب اعتمادا علي بنيته اللغوية دون ماعداها من مؤثرات اجتماعية، أو سياسية، أو فكرية، أو غير ذلک. والأسلوبية هي أحدث ما تمخضت عنه علوم اللغة فى العصر الحديث.» (أحمد سليمان، ١٩٩١م: ٩)

ويرى الدكتور صبرى مسلم: «إذا قلنا علم الأسلوب، فإنّنا نقترب من الأسلوبية حد الترادف، لأن الأسلوبية فى بعض وجوهها متأثرة بالمنطق العلمى والنسق المنهجى، وهما من معطيات هذا العصر الذى يهيمن فيه العلم علي كل شيء، ومن ذلک إنه يخضع الأسلوب للرؤية النهجية.» (صبرى، ٢٠٠٩م: www.26sep.net)

كما يتضح من القولين السابقين فإن الآراء حول تقديم تعريف عن الأسلوبية وعلاقتها بالأسلوب قدتتفاوت بين الأدباء غير أنّ هناک أشياء تجمع بين هذه الآراء كما هو واضح فى الرأيين السابقين.

الافتراق الرئيسى بين المواقف العلمانية والإسلامية فى الميدان الأدبى

ومن المواضيع الهامة التى تستحق الدراسة، تفكيک المواقف الغربية العلمانية والإسلامية بالنسبة للأسلوب والأسلوبية.

ومما لاشک فيه أن هنالک منهجين مختلفين كلّ الاختلاف من حيث النظر والتصوّر للكون والحياة والإنسان وكذلک للغة ودورها، ومن ثمّ للأدب ومهمته ودوره، وأن كل تصوّر من هذين التصورين يقود إلى تصور خاص به بالأسلوب والأسلوبية.

وأهمية هذا الموضوع فى واقع المسلمين اليوم تبرز حين تسلّل الفكر العلمانىّ إلى العالم الإسلامى بكل أوجه نشاطه السياسىّ والاقتصادى والاجتماعى، وكذلک الأدبى بميادينه المختلفة وكذلک دور اللغة ومنزلتها.

بتصفح صفحات التاريخ، يظهر جليا أن هذه الفكرة ظهرت بعد الثورة الصناعية والتطور العلمى ظهورا فى مسمَّيين اثنين "العلمانية" بفتح العين مرادفها "secularism" أى عزل الدين عن الحياة فى جميع ميادينها، والنظر إلى الحياة نظرة مادية كاملة وهي مأخوذة من كلمة "العَلْم" بمعنى العالَم وما حواه بطن الفلک و"العِلمانية" بكسر العين مرادفها "scientism" من كلمة "العِلم" بمعناه البشرى وإخضاع كل شيء لعلم الإنسان وتجاربه، وكلاهما يدعو إلى عزل الدين عن ميادين الحياة، وعزل تصوّر الدار الآخرة والإيمان والتوحيد. (النحوى، ١٩٩٩م: ١٠)

ولقد طرحت "العَلمانية" أو "العِلمانية" تصورات مادية مختلفة فى الفلسفة والفكر والأدب والنقد ومختلف ميادين الحياة.

لقدكان من أبرز معالم هذه الاتجاهات أنّها اتجاهات مادية، تعزل الموضوع عن كل ما لايرتبط به ارتباطا ماديا، وتعزل الموضوعات كلَّها عن "الغيب" وعن الدار الآخرة وعن الإيمان والتوحيد، وأخذت تعتبر العقل البشري مصدر كلّ فكر، والعلمَ الذى تبلغه هو الأساس الذى تقوم عليه الحياة، وكلّما بلغ الإنسان نجاحا جديدا فى علم جديد، كان يغمره الفرح بعلمه هذا، وينسيه ضرورة التأمل الأوسع فى الكون. وهذه الأوصاف تذكّرنا بالآية الشريفة التالية: ﴿فلمّا جاءَتهُم رُسُلُهم بالبَيّنات فرِحوا بما عندَهُم مِن العِلم وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزؤونَ﴾ (غافر: ٨٣)

وعندما عزلت العلمانية "الغيب" عن الحياة الدنيا وعن جميع ميادينها وجدت نفسها أَمام تنافضات كثيرة تبدولها، ووجد العلمانيون أنّهم كلّما نجحوا فى حل مشكلة واحدة ظهرت أمامهم مشاكل جديدة، لم تكن ظاهرة ولم تكن تخطر ببالهم.

وكلّما سار الإنسان فى هذا الكون مسافة امتدت أمامه آفاق أبعد وأوسع، وكأنّما لم يَسِرْ إلا خطوات قليلة فى مسافات لامتناهية.

ومن المعالم البارزة الأخري لهذه الاتجاهات المتأثرة بالعلمانية، هي الرغبة فى

إخضاع كل شيء للعلم، أو لما يسمونه "علما" وكان من بين ذلک الأدب، ومايتصل به.

يري الدكتور عدنان النحوى كل مذهب من هذه المذاهب ردّ فعل للمذهب السابق، إذ يقول: «وحين نطالع هذه المذاهب، نجد أن هنالک خصائص واقعية تساعد علي فهم المذاهب والأحداث. فمن أهم هذه الخصائص أن كلّ مذهب كان يأتى ردّ فعل للمذهب السابق، ويمهّد فى الوقت نفسه لظهور مذهب جديد كردّ فعلٍ له. وسبب ذلک هو أن معظم الفلاسفة ورجال الفكر والأدب نفضوا أيديهم من "الغيب" والدار الآخرة، وحقائق الإيمان والتوحيد. واعتمدوا التصورات البشرية التى لاتستطيع إلا أن تأخذ بجزء من الحياة.» (المصدر نفسه: ٢٠)

أهمّ العناصر المتعلقة بالأسلوب الأدبى من القرآن الكريم

مما لاشک فيه، أن لكلّ أدب عناصره التى تبنيه وتبنى جماله ونهجه. فما هو الأسلوب الأدبى من منظور القرآن الكريم؟ ولكى ندرس هذه العناصر فى الأسلوب الأدبى من منطلق القرآن الكريم لابد من وقفة مع الأديب المنتج الذى يبدع هذا الأدب فهو الركن الأساسى فى هذه العملية.

إذن يمكن أن نقسم هذه العوامل فى مجموعات منها العناصر المتعلقة بالأديب المنتج وفطرته وذاته وآثارها الظاهرة فيه من إيمان وتوحيد، ونيّة وفكر وعاطفة، وموهبة وغير ذلک، والتفاعل الذى يتمّ بينها فى فطرة الأديب والعناصر الخارجة عن الأديب والمؤثرة فيه كالبيئة والنشأة وتاريخها، والواقع الذى تولّد فيه الموضوع والنص من مكان وزمان وأحداث وما يترک ذلک من آثار فى النفس والفطرة.

أما الدكتور النحوى فلا يكتفى بإعطاء الدور الأساسى للأديب فحسب، بل يولى اهتماما كبيرا بالنص الأدبى كجزء آخر من عملية الإبداع حيث يقسم العناصر المتعلقة بالنص إلى الصياغة الفنية، الموضوع الفنّى والفكرة الموحية، والجنس والشكل الأدبى والأسلوب. (م.ن: ٢٥٧)

فيما يلى يُدرس دور كل واحد من هذه العناصر ومدي تأثيرها فى الأديب مستندا إلى الآيات القرآنية.

١. الفطرة

سواء أكان الأسلوب مرتبطا بالأديب المنتج أم بالنصّ الفنى أم بالمتلقّى فإنّه فى جميع الحالات مرتبط بالموضوع الذى يطرقه الأديب ويحمله النّص، والموضوع فى الحقيقة يخرجُ من الإنسان، من طاقته ووسعه ومن تفاعله مع الحياة. إنّه يخرج من إيمانه وعلمه وتجاربه ومن زاده الذى تحمله فطرته مع ما تحمل الفطرة من قوي أخري وطاقات وميول ورغبات أودعها الله فى كيان الإنسان وخلقه وما نعرفه بالفطرة.

ماهي هذه الفطرة؟ إنها الفطرة التى فطر الله الناس عليها كما يقول الله عزّوجل فى كتابه الكريم:

﴿فأقِم وَجهَكَ لِلدّينِ حَنيفاً فِطرَتَ اللهِ التى فَطَرَ النّاسَ عَلَيها لا تبديلَ لِخَلقِ الله ذلِكَ الدّينُ القيّمُ ولكنَّ أكثرَ النّاس لايعلَمونَ﴾ (الروم: ٣٠)

ويمكن أن نعتبر الفطرة المستودَع الذى يضم مختلف القوي والقدرات التى أودعها الله فيها. أو أن نشبهها بالبستان الذى يضم الغراس المختلفة والنبع الذى يروى هذه الغراس.

وقد أكّد رسول الله (ص) فى حديثه الشريف وجودالفطرة فى كل مولود إذ يقول: «كلُّ مولودٍ يولَدُ علي الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه.» (الكلينى، ١٣٦٥ش: أصول كافى)

وللفطرة بصورة عامة حالتان: فطرة سليمة سوية كما فطرها الله تبارک وتعالى، وفطرة شُوِّهت بالآثام والمعاصى، وانحراف الأبوين أو تقصيرهما، وبتأثير مختلف قوى البيئة والمجتمع، فيما سمّيت بالفطرة الخاملة.

ويبيّن لنا القرآن الكريم هاتين الحالتين فى آياته المتعددة نشير منها إلى سورة الشمس حين يقول: ﴿ونَفس وما سَوّاها فَأَلهَمَها فُجورَها وتقواها قد أفلَحَ مَن زكّاها وقَد خابَ مَن دسّاها﴾ (الشمس: ١٠-٧)

فإذن أن الفطرة هي أساس التصور للإيمان والتوحيد، وأساس المنهج الإيمانى للتفكير، وأساس التربية والبناء فى الإسلام.

ومن الفطرة ومن تفاعل القوي العاملة والمستودعة فيها ينطلق عطاء الإنسان، و

يظهر من هذا العطاء الموضوع والنصّ الأدبى والأسلوب والأسلوبية.

ومن هنا كانت حماية الفطرة أوّلَ حق للإنسان. إنها الحق الأول الأساسى الذى أغفَلته الحضارة العَلمانية، كما أشير ولم تلتفت بإغفاله بل أوجدت جميع العوامل التى تُدمّر الفطرة أو تشوّهها.

٢. الإيمان والتوحيد

إن أول طاقة أودعها الله فطرة الإنسان هى الإيمان والتوحيد. والآية الكريمة تشير إلى أن الفطرة هي الدين: ﴿فأقِم وَجهَكَ لِلدّينِ حَنيفاً فِطرَتَ اللهِ الّتى فَطَرَ النّاسَ عَلَيها﴾ (الروم: ٣٠)

وطبعا أساس هذا الدين هو الإيمان بالله والتوحيد. ويؤكد القرآن الكريم بأن الإيمان بالله ومعرفته وتوحيده أمر فطري فى الإنسان كما يقول: ﴿فإذا رَكِبوا فى الفُلكِ دَعَوُا الله مُخلِصينَ لَهُ الدّينَ فَلَمّا نَجّاهُم إلى البَرِّ إذا هُم يُشركون﴾ (العنكبوت: ٦٥)

الإيمان والتوحيد هما الينبوعان الغنيان الصافيان اللذان يرويان جميع القوي والميول فى الإنسان ريّا عادلا متوازنا على أساس سنن الله. حتّى تؤدى كلّ طاقة دورها الحقيقى الذى خُلقت له. وفى هذه الحالة تكون الفطرة سليمة والنفس سوية، ويصل الإنسان إلى الإفلاح كما قال الله تبارک وتعالى: ﴿قد أفلحَ مَن زكّاها﴾ (الشمس: ٩)

فيصبح عمل هذه الطاقات "تقوى" أما إذا تعطل هذا النبع أو سُدّ أو استبدل به غيره فإن الرىّ ينقطع أو يفسد أو يضطرب ولا تروي الميول والقوي ريّا متوازنا وعندئذ يكون انحراف الإنسان وخيبته كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وقَد خابَ مَن دَسّاها﴾ (الشمس: ١٠)

ويصبح عمل هذه الطاقات المنحرف فجوراً.فإذن منَّ الله علي عباده جميعاً أن جعل الإيمان والتوحيد فى فطرة كلّ إنسان، وجعله عهدا وشهادة وموثقا كما قال الإمام على (ع): «فبعث فيهم رُسُلَهُ وواتَرَ إليهم أنبياءهُ لِيستأدُوهم ميثاق فطرتِهِ.» (نهج البلاغة: الخطبةالأولى)

٣. النيّة

النيّة فى الإسلام ركن فى الشعائر. وهي قصد التوجه القلبى إلى الله سبحانه وتعالى مع توافر العزم والتصميم ومع توافر الرؤية الواضحة للدرب والهدف، والوسيلة والأسلوب. فإذن منطلقها القلب المرتبط بالفطرة، فهي توفّر تهيئة للنفوس بذلک قبل مباشـرة العمل وتثبيتاً للصلة الخالصة مع الله. وهي فى الحقيقة تهب النفس الطمأنيتة والأمن. النية قضية يتفرد بها الإسـلام. وهي الأسـاس الذى يجب أن يقوم عليه العمل حتى يُقبَل عند الله، علي أن يكون العمل خاضعا لله.

فعن رسـول الله صلي الله عليه وآله وسلّم قال: «إنما الأعمال بالنيات والخواتيم.» (عابدينى مطلق، ١٣٨٧م: ١٢٦)

وهـي وعى وإدراک للعمل الذى يُقبِل عليـه المؤمن مهما كان العمل، كلمة تقال أو أدبا يخطّه، أو فعلا يقوم به إنها تطرد الغفلة والارتجال، وتقوّى العزيمة وصدق التوكل.

«النيـة توفّر الحوافز الإيمانية إلى المبادرة الذاتية، وتدفع المؤمن إلى أن يلتزم حدود الله، فلهـا دور عظيم فى الأدب ودور قوى فى الأسـلوب... إنها القـوة الدافعة للجمال الفـنى، وهي التى تهب الموهبة طاقة الحركة والعمل، فتُولد الخفقة فى الجمال والدفقة فى العطاء. إن النية هي مفتاح يَنبوع الإيمان والتوحيد ليروى النبع عندما تفتحه النية جميع القوي العاملة فى الفطرة ريّا متوازنا. (النحوى، ١٩٩٣م: ٢٣٧)

والنقطة الأولى اللائقة بالذكر هي أنّ النية طاقة فى كلّ انسان إمّا مؤمنا متقيا صالحا وإمّا فاسـدا كافرا فاجرا. فالمؤمن الصادق تتجه نيته إلى الله سبحانه وتعالى علي وعى وعزيمـة وتصميم. أمّا الكافر فتتجّه نيته إلى الدنيا وشـهواتها علي حذرٍ وفتنةٍ يُزيّن له الشـيطان بها عمله حتى يحسبه وعيا، ثمّ تنكشـف له الحقيقة ويُذهَب عنه الحذر وتُرفَع عن عينيه الغشاوة إن عاد واهتدي، أو يوم القيامة: ﴿لَقَد كُنتَ فى غَفلةٍ مِن هَذا فَكَشَفنَا عَنکَ غِطَاءَکَ فَبَصَرُکَ اليَومَ حَديدٌ﴾ (ق: ٢٢)

والنقطـة الثانية اللائقة بالذكر هي أن من الممكن أحيانا رؤية بعض مظاهر الخير فى عمل رجل فاسـد أو فاجر أو كافر. فلا يكون ذلک إلا من أثر البقيّة الباقية من الفطرة المشوّهة، فيكون العمل غير مرتبط بالنية الصادقة لله، فلا يُقبَل عند الله كما يقول القرآن

الكريم: ﴿وقَدِمنا إلى ما عَمِلوا من عَمَلٍ فجَعَلناه هَباءً منثوراً﴾ (الفرقان: ٢٣)

٤. العقل والتفكير

إنّ العقل طاقة فى كيان الإنسان، والقرآن الكريم يعبّر فى كثير من آياته عن هذه الطاقة بالقلب أو اللب والذى نفهمه من ذلک أن القلب هو الذى يسيطر أو يغذّى سائر الأجزاء. كقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَم يَسيرُوا فِى الأَرضِ فَتَكونَ لَهُم قُلوبٌ يَعقِلوُن بِها أَو آذانٌ يَسمَعُون بِها فإنّها لا تَعمي الأبصارُ ولكِن تَعمَى القُلوبُ الَّتى فِى الصُّدُور﴾ (الحج: ٤٦)

والعقل حين يعمل يُطلِق التفكير. والعقل والتفكير يمثلان قدرة الإنسان علي التأمل والتدبّر، والدراسة والبحث، وجمع المعلومات وتركيبها وتحليلها، والنظر والاستكشاف، والفهم والاستيعاب، والتنسيق، واتخاذ القرار والموقف.

٥. العاطفة والشعور

العاطفة هى طاقة أخري فى الإنسان، إنها القوة التى تهيِّء العين فتدمع، وتدفع القلب فيخفق، إنها تطلق الحنان أو القوة، والرحمة أو الغلظة واللطف أو الخشونة. (النحوى، ١٩٩٩م: ٢٢٤)

إنها طاقة فى الإنسان لاتعمل وحدها، ولكنها تعمل مع سائر القوي فى كيان الإنسان، وهى من أهم القوي التى تعمل معها طاقة العقل والتفكير. فحينا تغلب طاقةُ التفكير، وحينا تغلب العاطفة، وحينا آخر تتوازنان.

٦. الموهبة

هي طاقة خاصة متميزة يهبها الله لمن يشاء من عباده. والمواهب متعددة ومنها الموهبة الفنية الأدبية. وهذه الطاقة يختلف مستواها أيضا من رجل إلى رجلٍ، ولكنها فى جميع الحالات ترعي وتنمّى بعض الطاقات فى فطرة الإنسان. ويرعاها كذلک الإيمان والتوحيد ومن خلال هذه الرعاية التى تتم فى ذات الإنسان وفطرته. (النحوى، ١٩٩٩م: ٢٥٣) فى الحقيقة تطلق الموهبة التفاعل بين قوّتى الفكر والعاطفة، لينطلق النصّ الأدبى الفنّى الملتزم بالإسلام.

٧. الميول والرغبات

«لقد غرس الله فى فطرة الإنسان ميولا ورغبات، منها الميل إلى الجمال والميل إلى الكشف عن الحقيقة، والرغبة إلى الإحسان والميل إلى الكمال.» (جمعى از نويسندگان، ١٣٦٧ش: ٦٩)

فالإنسان على أساس ميله إلى الجمال يميّز الجميل من غيره ويرجّحه، ويميل إليه سواءٌ أكان صورةً، أو فعلا، أو نصّاً أدبيّاً، أو خلقا طيبا، وإنه على أساس فطرته يميل إلى أن يكشف عن الحقائق ويصل إليها ويعترف بها فى أى مجال كانت، وهكذا أنه يرغب أن يُحسِن إلى الآخرين قولا وفعلا، ويميل إلى الكمال ويبحث عنه ولأجل هذا لايتوقف طول حياته عن كسب العلم والأدب والمعرفة.

ويرى على أساس فطرته التوقف والسكون سدّا ورادعا للوصول إلى الكمال. فإذن إنه يميل إلى عبادة الله ومعرفته لأن الله تبارک وتعالى هو الكمال المطلق إلا أنّ الإنسان المسلم يري عبادة الله فرضا علي نفسه.

إن هذه الميول والرغبات ترتوى من نبع الإيمان والتوحيد حتّى تؤدى المهمة التى خُلِقَت له.

ولو لم يرتو بالإيمان والتوحيد والنية الخالصة فعندئذٍ تصاب الفطرة بالخمول. وعندما تصبح الفطرة خاملة فلايميّز صاحبها الجميل من الكريه، ولايكشف عن الحقيقة ولايعترف بها، ولايرغب إلى الإحسان، ولافرق لديه عندئذ بين الإحسان والإساءة، ولايبحث عن الكمال ويتوقف فى طريقه إليه، وفى النهاية يفقد الطريق الصواب الذى كان يبحث عنه قبل خمول فطرته.

دور "المسؤولية" فى الأديب المنتج من رؤية قرآنية

إنّ الأديب المنتج حسب الرؤية القرآنية نقصد به هنا الأديب الملتزم بالإسلام الذى يضع تعاليمه نصب عينه فى كل إبداع أدبى. ومما ذكر يتبين أن الفطرة والعوامل المدروسة فيها، ليست هى كل الطاقات والقوي التى وضعها الله فى الإنسان الأديب، ولكن علي أساس الاعتقادات بالإسلام وأحكامه وأصوله، لاشک أنّ هذه العناصر أهمّ ماتُعرف فى الإسلام، ولاشک أن هناک عناصر أخري خفيّة نجهلها فيعطى الله الأديب المؤمن الملتزم

بل يُلهمه خلال خلقه للنصّ الأدبى. (النحوى، ١٩٩٩م: ٢٤٩)

وهناك عنصر آخر يليق بالذكر والدراسة تُسمّى "بالمسؤولية". وهي التى تجد دورها بعد منح العناصر والطاقات الأخري للأديب، ولاسيما بعد عنصرين مهمين وهما "العقل والتفكير" و"الشعور والعاطفة" إن الإنسان لايُترک بعد أن أعطاه الله هذه العناصر والطاقات، بل جعل الله له مسؤولية محدّدة فى الحياة والمجتمع، حتى يُحاسب عليها يوم القيامة، وكان من أهمها مسؤولية الأديب عن كلمته وتعبيره.

كما يقول الله تبارک وتعالى: ﴿إِنَّ السَّمعَ وَالبَصَرَ والفُؤادَ كُلُّ أولئِکَ كانَ عَنهُ مَسؤُولاً﴾ (الإسراء: ٣٦)

وعلى هذا الأساس لايُتوقع من الأعمي أن يري، ولايُتوقع من المجنون أن يعقل ويفكّر كعاقل سليم، لماذا؟ لأن فاقد الشيء لم يكن معطياً له ولايُسأل عمّا ليس له من القوة والطاقة. فعلى العكس يتوقع من البصير أن يرى والعقيل أن يفتكر، وهذا هو مسؤوليتُه بسبب الشيء الذى أعطاه الله إيّاه.

فإذن، المسؤولية قضية رئيسة فى الإسلام، وفى الأدب الملتزم بالإسلام، وحسب الرؤية القرآنية وهذه من أهم نواحى الاختلاف بين النظرة الدينية والعَلمانية فى مختلف ميادين الحياة بعامة، وفى ميدان الأدب والأسلوب والأسلوبية بخاصة.

الأدب الملتزم بالإسلام فى الحقيقة نابع من الإنسان المؤمن، مرتبط به ملاصق له. فهو مسؤول عن كلمته ومحاسَب عليها.

أمّا النقطة اللائقة بالذكر، فهى أنّ مستوي المسؤوليات تختلف فى كل إنسان، فتؤثر فيها العوامل المختلفة منها الظروف والبيئة ونحوهما، فمثلا مسؤولية الإمام تختلف عن مسؤولية المأموم فى المجتمع، كما أنّ مسؤولية المعلّم تختلف عن مسؤولية التلميذ فى الصف.

فإذن، لكل أديب مؤمن مسؤولياته الخاصة التى تقتضيها القوي والطاقات التى وهبها الله له.

ولادة الموضوع الأدبى وموضع الأسلوب فيه من وجهة نظر قرآنية

فى دراسة الاتجاهات الغربية والعلمانية للأسلوبية يبدو أن بعضهم يري أن الموضوع

الأدبى هو ثمرة تجربة شعورية فحسب، فيركّزون تركيزا شديدا علي الناحية الشعورية حتى كأنها هي العنصر الوحيد المولّد للأدب وموضوعاته. ويري آخرون أن العقل والفكر والحكمة مصدر الأدب وموضوعاته، ويُغفلون الشعور والعاطفة إغفالا كبيرا. ويري آخرون أن الواقع وحده مصدر الأدب وموضوعاته. (النحوى، ١٩٩٤م: ٢٤٨) وبالرجوع إلى الفكر والفلسفة والأدب منذ اليونان حتى العصر الحاضر، يُثبت أن مسيرة ذلک كلّه كانت تعتمد جزئية تحسبها هي الحق الشامل، أو تجعلها الحق الشامل. والجزئية نفسها من تصور بشرى مجزوء لايعتمد علي التصور الشامل.

يرى الدكتور النحوى أنّ الموضوع هو القضية التى يعرضها النصّ الأدبى من خلال الصياغة الفنية وسائر العناصرا لفنية الأخري واصفا له فى الأدب الملتزم فى الإسلام وصفا جامعا إذ يقول: «الموضوع فى الأدب الملتزم بالإسلام ممتد امتداد الحياة والكون، ويتجاوز الحياة الدنيا إلى الآخرة، إنه يدخل أغوار النفس البشرية، وآفاق الكون وميادين الحياة، ويبحث ويتأمل ويتدبّر، يصف ويروى ويعظ، ينصح ويوجّه، يقوّى ويدعم الحق ويجاهد ضد الباطل، ليري فى كل ميادينه آيات الله البينات... إنه تفاعل المؤمن مع الحياة والواقع من خلال إيمانه ورسالته.

وكان من رحمة الله أن جعل للمؤمنين النموذج الأعلي، النموذج المعجز المتمثل فى الوحى المتنَزل من عند الله على محمد(ص)، قرآنا عربيّا غير ذى عوج، معجزا لايستطيع أحد من الإنس والجنّ أن يأتى بمثله، ميسّرا للذكر حتى يسّهل علي كل إنسان آمَن واهتدي وعرف العربية أن يتلو كتاب الله ويتدبّره ليمارسه فى الحياة الدنيا، حتى كانت ممارسة منهاج الله فى الواقع البشرى هي محور الأمانة التى يحملها الإنسان، وأساس الخلافة فى الأرض، وجوهر العبادة فى الحياة الدنيا، ومعنى عمارة الأرض بحضارة الإيمان وساحة الابتلاء والتمحيص الذى كتب الله علي بنى آدم. فمنهاج الله ودراسته وتدبره يفتح للانسان آفاق الكون وميادين الحياة ليتولد الموضوع الأدبى فى فطرة المؤمن، فى قلبه وعقله وأعصابه وكيانه كله ليخرج الموضوع الصادق من أعماق أعماق نفسه.» (المصدر نفسه: ٢٤٩)

فإذن الموضوع الأدبى فى الإسلام هو ثمرة الإنسان المؤمن مع الحياة من خلال إيمانه

ورسالته التى يحملها فى الحياة الدنيا، وإن هذا التفاعل بين الإنسان والحياة يستغرق فطرة الإنسان والقوي والطاقات العاملة فيها.فإذا تكوّن الموضوع فى نفس الإنسان علي أساس هذا التفاعل،فإن القوي تعمل لتطلقه نصّا مستكملا عناصره وخصائصه، مستفيدا من كل العوامل المؤثرة فى حياة الإنسان، سواء أكانت ذاتية داخلية، أو كانت خارجية مكتسبة.

من بين القوى والطاقات التى ذُكرت سابقا فإنّ عوامل مثل "العقل والتفكير" و"العاطفة والشعور" تتميز بأهمّية خاصة فى بناء النصّ الأدبى.

ولإيضاح دور هاتين الطاقتين فى بناء النصّ الأدبى يمكن تشبيههما بالقطبين، وتشبيه الأحداث والتجارب التى يمرّ بها الإنسان بالشحنات الكهربائية التى تستقرّ علي هذا القطب أو ذاك، مع مسيرة الحياة تزداد التجارب، فتزداد الشحنات على القطبين.

ثُمّ تظل شحنات الزاد من العلم واللغة والتجارب والأحداث تتجمّع علي قطبى الفكر والعاطفة، حتى تأتى اللحظة المناسبة بقدر من الله سبحانه وتعالى، فيصبح معها طاقتا الفكر والعاطفة، وماتحملان من شحنات مستعدّتين للتفاعل بينهما، فتتحرك الموهبة فى تلك اللحظة، وتُحرّك التفاعل، وتُطلق من التفاعل الومضة والشعلة نصّا أدبيا مستكملا خصائصه الفنية والإيمانية. (المصدر نفسه: ٢٥٢)

إذن فإن الإنتاج الأدبى والنص الفنى، بكامل خصائصه الإيمانية والفنية، هو نتاج هذا التفاعل فى ذات الإنسان، وفى فطرته، بين طاقتين رئيستين هما الفكر والعاطفة، أو العقل والتفكير والشعور والإحساس وكما ورد آنفا يساهم فى هذا التفاعل القوي والطاقات والميول التى أودعها الله فى فطرة الإنسان.

هناك سؤال آخر وهو مَبدَئية بناء الأسلوب فى الإنتاج الأدبى والنصّ الفنى.

يرى الدكتور النحوى أن الأسلوب يبتديء مع أول خطوة يخطوها الأديب فى الصياغة الفنية قائلا فى وصفها:

«فالصياغة الفنية هي اختيار اللفظة، وربط اللفظة باللفظة، والتعبير بالتعبير، ثم الفقرة بالفقرة، أو بيت الشعر ببيت الشعر، أو الصورة بالصورة، والحركة بالحركة، والنغمة بالنغمة، حتى يتكامل النصّ الفنّى، ويتكامل المشهد بجميع ألوانه وصورته وجرسه،

وتبتديء الصياغة الفنية بالكلمة، وللكلمة أربع خصائص توفّر لها القدرة على الدخول فى الصياغة الفنية. هذه الخصائص الأربع هى:

- المعنى المعجمى.
- الظلال المكتسبة من تاريخ استعمالها وتاريخ اللغة.
- قوة الارتباط من لفظة سابقة ولفظة لاحقة.
- ثم الجرس والنغمة.

لتكـون اللفظة بذلك لبنـة إلى لبنة ليقوم النصّ الفنى بتكاملـه، فالكلمة بخصائصها الأربع المتماسـكة تساهم فى الصياغة الفنية ونجاح الأديب يبرز فى اختيار الكلمة التى تجمـع هذه الخصائص الأربع لكلمة أخـري حتى تتكامل الصياغة. مـن هنا يبدأ بناء الأسـلوب، ويبدأ الأسـلوب عمله. إنه يبتديء باختيار الكلمة بخصائصها الأربع. إذن فإنّ الأسلوب يبتديء فى نفس اللحظة التى يبتديء فيها بناء النصّ الأدبى ويمضى معه، ويتكامل الأسلوب حين يتكامل النص الأدبى.» (النحوى، ١٩٩٤م: ١٠٣)

وهنا على أسـاس ما ذُكر مـن العناصر المتعلقة فى ذات الأديـب وفطرته، إن هذا التفاعل والبناء يتمّ فى داخل الإنسـان، فى ذاته من خلال شـبكة ممتـدة فى كيانه كلّه، لتكـوّن هذه فطرته التى فطره الله عليها والقوي العامل فيها. إذن فإنه عمل واع لايمكن أن يكـون بطريقة لاشـعورية، إنه عمـل واع لأن النية عامل من عوامـل بنائه، ولأن الفكر والشـعور عاملان رئيسيان، تستقر عليهما شـحنات الواقع والنشأة والأحداث والتجـارب. إنّه عمل واعٍ لأن الأديب مسـؤول ومحاسَـب علي كلمتـه. فلا يكون فى اللاواقع ولا فى الغيبوبة والسـكر والخَدَر، والشـهوة المجنونة والهوي الغالب. إنه عمل الإيمان والتوحيد الذى يجعل كلَّ كلمة عبادة، وكل عبادة خشـوعا، وكلَّ خشوع حافزا لانطلاقة وعمل، وسـعى وبذل، وكل ذلك خاضع للمسـؤولية والحسـاب. وعلي هذا الأساس يكون لكل قوة عاملة فى هذه الشبكة الممتدة فى كيان الإنسان وفطرته دور فى بناء "الأسلوب" فى النصّ الأدبى.

النتيجة

١. الموضوع الأدبى فى الإسـلام هو ثمرة الإنسـان المؤمن مع الحياة من خلال إيمانه

ورسالته التى يحملها فى الحياة الدنيا، وإن هذا التفاعل بين الإنسان والحياة يختص فطرة الإنســان والقوي والطاقات العاملة فيها. إذن فإنّ الإنتاج الأدبى والنصّ الفنى، بكامل خصائصه الإيمانية والفنية، هو نتاج هذا التفاعل.

٢. مع ولادة الموضوع والنصّ يُولَد "الأســلوب" فيكون الأســلوب جزءا من النصّ الأدبى الفنى، داخلا فى نســيجه وبنائه، لاينفصل عنه. وهو عنصر أساســى من العناصر الستة المتشابكة التى تبنى الأدب من المنظور القرآنى والأحاديث الشريفة، وهى الإنسان والعقيدة والموضوع الأدبى والصياغة الفنية والجنس الأدبى والأسلوب.

٣. هناك ارتباط وثيق بين الأسلوب والأسلوبية. فهما متلازمان عادة غير أنّ هناك فوارق بينهما تتجلى فى كون الأخيرة علما، وليس ذلك ينطبق على الأســلوب. كما أنّ هناك فوارق أخرى وردت الإشارة إليها فى ثنايا البحث.

٤. إن أهم عنصر من عناصر الأســلوب الأدبى من منظور القرآن الكريم هو الفطرة والإيمان والتوحيد ويمكن اعتبار الفطرة المســتودع الذى يضم مختلف القوى والقدرات التى أودعها الله منها كما أن الإيمان بالله والتوحيد هو الطاقة الأساسية التى وضعها الله فى فطرة الإنسان.

٥. إن لنية الإنســان الدور الأكبر فى أســلوبه الأدبى. فالنية فى الإسلام هى ركن فى شــعائر وهى بهدف التوجه القلبى إلى الله ســبحانه مع توافر العــزم والرؤية الواضحة للهدف.

٦. العقــل هــو عنصر آخر من عناصر الأســلوب من منطلق القــرآن الكريم وثمرته التفكير والتأمل والتدبر.

٧. إن ما ذكر من عناصر الأســلوب إذا ائتلف مع عاطفة الأنسان وشعوره وعملت مع سائر القوى فى كيان الأنسان يحدث التوازن فى الأسلوب الأدبى خاصة عندما تجتمع العاطفة مع العقل.

٨. تتميــز الموهبة بكونها غير مكتســبة فهى هبة من الله لمن يشــاء من عباده وهى متعددة ومن أهمها الموهبة الفنية الأدبية وهى التى تميز الأسلوب من إنسان إلى آخر.

٩. إن ســيطرة الإنسان على ميوله ورغباته وتسخيرها فى سبيل الهدف الإلهى الذى

يسعى إليه الإنسان المؤمن تنعكس بشكل مباشر على أسلوب الأديب.

۱۰. إن دور المسؤولية أهم من بقية العناصر المذكورة. فإن الأديب المنتج حسب الرؤية القرآنية يقصد به الأديب الملتزم بالإسلام الذى يرى نفسه مسؤولاً أمام كل ما ينتجه ويبدعه، وبذلک نرى أهمية هذا العنصر فى الأسلوب الأدبى عند كل أديب ملتزم بالإسلام.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن خلدون. (۱۳۲۷ق). مقدمة ابن خلدون. لامک: طبعة مصر.

ابن منظور. (۱۹۸۸م). لسان العرب. بيروت: دار إحياء التراث العربى.

أحمدسليمان، فتح الله. (۱۹۹۱م). الأسلوبية مدخل نظرى ودراسة تطبيقية. لامک: الدارالفنية للنشر والتوزيع.

أنيس، إبراهيم؛ منتصر، عبدالحليم؛ الصوالحى، عطية؛ أحمد، محمدخلف الله. (۱۳٦۷ش). المعجم الوسيط. الطبعة الثالثة. لامک: مكتب نشر الثقافة الإسلامية.

الجرجانى، عبد القاهر. (۱۹۸۱م). دلائل الإعجاز. بيروت: دار المعرفة.

جمعى از نويسندگان. (۱۳٦۷ش). معارف اسلامى (۱).چاپ پنجم. طهران: سازمان (سمت).

خليل، إبراهيم. (۱۹۹۷م). الأسلوبية ونظرية النص. بيروت: مؤسسة العربية للدراسات والنشر.

خليل، إبراهيم. (۲۰۰۲م). فى النقد والنقد الألسنى. عمان: عاصمة للثقافة العربية.

الزبيدى، محمد مرتضي الحسينى. (۱۹٦۷م). تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق عبد الكريم الغرباوى. بيروت: دار الهدية للطباعة والنشر والتوزيع. الزرقانى، محمد عبد العظيم. (۱٤۰۸ق). مناهل العرفان. بيروت: دار الفكر.

الزيات، أحمدحسن. لاتا، دفاع عن البلاغة.

الشايب،أحمد. (۱۹٤٥م). الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب العربية. مصر: مكتبة النهضة المصرية.

الطوسى، أبو جعفر محمد ابن الحسن. التبيان فى تفسيرالقرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربى.

عابدينى مطلق، كاظم. (۱۳۸۷ش)، مجموعه ى كبير، نهج الفصاحة، نشر فراگفت، چاپ پنجم.

عياشى منذر، لاتا. مقالات فى الأسلوبية. سورية: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

فضل صلاح، (۱۹۹۸م). علم الأسلوب، مبادئة وإجراءاته. ط۱. القاهرة: دارالشروق.

الفيروزآبادى، مجد الدين محمدبن يعقوب. (۱٤۱۹ق). القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة،

ط٦.

الكلينى، محمد بن يعقوب.(١٣٦٥ش). أصول الكافى. تهران: دار الكتب الإسلامية.

الموسوى،أبوالحسن محمد بن الحسين،(١٣٨٧ق) المعروف بالشريف الرضى. نهج البلاغة،ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلمية الدكتور صبحى الصالح. ط١. بيروت: دار الكتاب اللبنانى.

النحوى، عدنان على رضا. (١٩٩٩م). الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام. ط١. لامک: دار النحوى للنشر والتوزيع.

النحوى، عدنان على رضا. (١٩٩٤م). الأدب الإسلامى إنسانيته وعالميته. ط١. دار النحوى للنشر والتوزيع.

النحوى، عدنان على رضا. (١٩٩٣م). النية فى الإسلام وبعدها الإسلامى. ط٣. لامک: دار النحوى للنشر والتوزيع.

المواقع الإلكترونية

السنانى، بندر مبارک. مقال تحت عنوان «الأسلوبية العربية والبلاغة العربية». الموقع

WWW.merbad.net/vb/showthread.php

صبرى، مسلم. مقال تحت عنوان «هل الأسلوبية مدرسة أو منهج نقدى». الموقع(www.26sep.net)